

رَشِيد دُرْبَاس
تَمَارِينُ عَلَى مَحَرِّ الْقَلْق

رَشِيد دُرْبَاس

تَمَارِينُ عَلَى مَحَرِّ الْقَلْقِ

قصائد

الكتاب : تمارين على بحر القلق
المؤلف : رشيد درباس
الطبعة الأولى : أيار ٢٠٢٦
القياس : ١٤ x ٢١ سنتم
عدد الصفحات : ١١٦
تدقيق : البروفسور إميل يعقوب
المحامي شوقي ساسين
لوحة الغلاف : رلى درباس
الإخراج الفني : رضا مفلح

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

مقدمة من أصل النص

بقلم عبد الكريم شنينه

«اللغة بيت الوجود»؛ بل لعلها على الأرجح محاولة فاشلة لنيل الخلود، بدليل موت كثير من اللغات عبر ما تراخى من زمن في دورة الحضارات. لكن هذا لا ينبغي له أن يعني التوقف عن الكتابة، ولو بمعيار درجة واحدة فوق الصفر، ما دامت شرانق السطور تهییء الجو دائماً لمولد فراشات الذكريات.

كان لا بدّ من هذا التمهيد للدخول إلى عالم رشيد درباس في مجموعته الجديدة، التي تتشكّل من تمارين، يحاول فيها أن يعيد للتجربة الشعرية قبساً من وهج نورها، وللغة ألماً من نضارة شبابها، عبر استدراج القلق إلى مواطن الشعر. فينظم على بحور

مجزوءةٍ، وأخرى ضيّقة التفاعل، ويلجأ إلى حروفٍ قليلة الاستعمال كرويّ الجيم، والضاد، والذال، والشين، والطاء، والزاي، وسواها. ولعلّه، وقد بلغ من تجربته الشعرية أوْجًا، يحاول في هذه التمارين الإيحاء بأنه يولد في القصيدة ثانيةً ليبدأ التجربة من جديد، أو لعلّه ينتصر لبحور الشعر المهجورة، وأحرف الألفباء المقهورة، ثأرًا للإنسانية من الظلم العام الذي حاق بها، أو لعلّه، بكلّ بساطةٍ وعفويةٍ، كان يتسلّى بتمارينه ليفرّج عن قلقه المستدام، ويملاً وقته بمعاقرة الكلمات.

ورشيد، في أيّ حال، إلى جانب تلك التمارين الحمالة الأوجه الضّاجة بالرؤى، يُطلّ علينا بوجدانيّات رجل في العقد التاسع، يحاول بما تبقى في نفسه من شغف، أن يقبض على ملامح طفولته، ومراهقته، وشبابه، وكهولته، منذ أن تخلّق في بطن أمّه، وخال نفسه حينذاك يُصغي إلى غناء والده لزوجته الحامل به ولدًا بكرًا، حتى آخر ما وقع له في أمسه القريب من شؤون وشجون، وما تلجّلت به ذاكرته المحيرة في نوعيّة ما يتناوله من طعام ظهرًا، وفي مواعيد أخذه لبعض الأدوية، وتلك أمور عاديّة تمر في

أخلاق الذين يقاربونه عمراً من خلان وأتراب.
من شواهد تلك التمارين على سبيل المثال
قوله في نصّ «منذ قابيل»:

بَيْنَ صَلَصالٍ وَمُخْتَلِطٍ
جُبَلَ الإنسانُ فِي لَغَطٍ

وفي هذا المطلع إشارة إلى الحوار بين الله
تعالى وملائكته، كما ورد في القرآن الكريم حين
أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة.
وقوله أيضاً في قصيدة «الشيطان يعظ»:

شَيْطَانُهُ وَعَظَا
بَاتَ اللِّسَانُ لَظَى
يَتَلَوُ خُرَافَتَهُ
نَارًا إِذَا لَفَظَا

وقوله في «نصف إخفاق»:

أَطِيرُ... أَطِيرُ مَتَى أَلْتَجِي
إِلَى مَهْبِطِ آمِنِ الْمَدْرَجِ

وفي قصيدة «أحرف مستنّة»، ويأله من عنوان!

ما عَلَيْهِ إِنْ نَفَضَا
هَمَّهُ... وَمَا عَرَضَا
عَنْ رُفُوفِ ذَاكِرَةِ
يَتَمِّي لَهَا مَضَضَا

هذه التمارين اللغوية الشعورية المعرفية بآني
معاً، تنتمي إلى ذاكرة تعرض كل ما تقلّب فيه من
مناصب تشرب لها أسئلة شتى، لا يزال صدى
موجاتها الارتدادية مخزوناً في عقله، وروحه،
ووعيه، وأناه العليا والدنيا.

وإذا ضربنا صفحاً عن تمارينه و«سطره الذي
تولّاه الهوى، فصار مبهرًا ومعجزًا»، وتوقّفنا أمام
القصيدة التي لجأ فيها إلى التناص، تلك الموسومة
بـ«خبز وحشيش وقمر» لنزار قباني، عجّبنا له كيف
خاف على من داس بالعلم وجه القمر، أن يسقط
منه حين يصبح هلالاً، أو يدركه المحاق، ويعود
كالعرجون القديم، وأدركنا كيف أبلى بلاءً حسنًا حين
ترك لكل قارئ كيفية قراءته الخاصة للنص، وأيقظ
في ذهنه دليل الرجل المعلق في الفضاء عند الشيخ
الرئيس ابن سينا، مقاربًا في ذلك نظرية التفكيك عند
جاك دريدا في دعوته إلى تعدد القراءات، وهذا ما

سبق المتنبي الجميع إليه حين قال:

ولكنْ تأخذُ الألبابُ منه
على قدر القرائح والعلوم

وليست هذه التمارين في جوهر كنهها إلا سيرة ذاتية للشاعر بعدسة مسطحة حيناً تعرض الواقع كما هو، وأخرى معقّرة ومحدّبة، تُصَغّر ما لم يترك أثراً في الوعي، وتُضخّم ما تسرّب إلى اللاوعي.

واللافت فيها، إلى جانب سيطرته على اللغة، نضجُ تناوله الموضوعات الوجوديّة من حياة، وموت، وقلق، وصراعات في مجتمع شرقي، يقوم على نمط إنتاج آسيويّ، يستهلك البضائع والأفكار والمدارس الشعرية الآتية إليه من الغرب المتطوّر، ولا يكلف فئاته الاجتماعية عبءَ التقدم، ولو قيد أنملة صوب الخلق والابتكار، ... آمال عراض علّقت على نجاح مشروع حركات التحرر والتقدّم، وخيبات فشل صدمت الكثيرين ممّن راهنوا على التغيير، وفاتهم أنّ الدورات الحضاريّة في الشرق تتشابه سلطات، وأجهزة قمع، وضحايا بالمجان.

ولعلّ من المدهشِ المبتكرِ في هذه المجموعة

حُسْنَ اختيار الشاعر لعناوين القصائد وخواتيمها،
وتوظيف الضوابط النحويّة، والمحسّنات البديعيّة،
في عمليّة النظم والتعبير عن تجربته الشعوريّة، فهو
يريش سهام ألفاظه صوب الفكرة الهاربة من قوقعة
كلمة، وسياق جملة، ويهتبل الفرصة السانحة للقبض
على المظنون به على غير أصله، ثقافة، وفكرًا،
وتجارب، ورؤى. ومن تلك العناوين المبتكرة على
سبيل المثال لا الحصر: «حمال رؤى»، «أحرف
مسنّنة»، «الخبز معتقل على مرأى لعاب»، و«أبناء
الحواس»؛ أما خواتيمها فمن مثل قوله في «حمال
رؤى»:

فالسَّطْرُ مَرْصُوفُ الْحَصَى
عَقِيمُهُ لَا يُفْرَزُ
فإن تَوَلَّاهُ الهوى
فمُبْهَرٌ... ومُعْجَزُ

وقوله في خاتمة «أحرف مسنّنة»:

لَغَةُ أُجِيزَ لَهَا
أَنْ تَجُوزَ مُعْتَرِضًا
رَاكُمُوا جَوَازِمَهَا

مَا عَلَيْهِ إِنْ رَفَضَا
أَبْرَمُوا قَوَاعِدَهَا
مَا جَزَاءُ مَنْ نَقَضَا؟

وخاتمة قصيدة «الخبز على مرأى اللعاب»:

لَكِنَّمَا الشَّهْدَاءُ
عِنْدَ رَحِيلِهِمْ
غَرَزُوا غَرَائِزَهُمْ
بِأَحْدَاقِ الْعُيُونِ

وخاتمة «أبناء الحواس»:

وَمَرَايَا... لَمْ يُصِْبْهَا صَمَمُ الْعُمُرِ
وَلَا طُولُ الْمِرَاسِ

والطريف في معظم النصوص أيضًا رفض الشاعر للتناصر بالباطل، والادّعاء بأننا نعرف، ونحن في الحقيقة نهرف، فالجملة الاسمية من مبتدأ وخبر لا زمان لها، وهي مجرد خبر من الأخبار؛ لذلك لا يصح أن يقال: إنَّ تجربة الإنسان على الأرض جاءت لعمارتها، فهو، منذ قابيل حتى الآن، يهريق الدماء،

ويستبيح المحرّمات، ويسيء لكلّ ما هو جميل
ورائع في الطبيعة، وبفسد المناخ بأدخنة مصانعه، ولا
يراعي ديناً ولا ذمّة في أفعاله.

في قصيدة «ذهبُ الله» يستحضر «خفرع» و«أبا
الهول» الذي، رغم قصف أنفه، ما زال يشمّ من بعيد،
وقد فقأ في نصّ آخر عين الزمان، فأعماه، ونجا من
رؤية أيّامه ولياليه؛ له جسم أسد برأس إنسان رمزاً
للسطوة. ولمصر عند رشيد درباس نوبة في القلب،
وعلوق في النفس، فقد أمضى في ربوعها سنوات
طلب العلم، وتعاظّم المدّ القومي، وليس ذلك
بغريب فهي أمّ الدنيا، وعاصمة الثقافة والنّضال.

آفاق حضاريّة كثيرة تفتحها نصوص الشاعر
للقارئ، وهي ترُبّت على كتفيه مشجّعة بيد حانية
للدخول إلى عوالمها من خلال لغة لم تعد أداة
تعبير بل وجود، إذ نضجت مفرداتها وجملها الخبريّة
والإنشائيّة بفعل مراس صاحب المجموعة في
الكتابة، وعمق تجاربه، وشفافيّة روحه، فهو لا يُلقي
الحبرَ على الغارب في تتبّع الأسباب المؤدّيّة إلى
النهوض من هوة التخلّف إلى مواكبة حركة التقدّم
وما يسودها ويتداول عليها من اتجاهات، فليس
لقساء قلوب وغلاظ أكباد من موقع قدم في المسيرة.

مقدّمتي لهذا الديوان ليست أكثر من ضوء
كاشف ينير للقراء الطريق في الإقبال على ما فيها من
تلاوين بيانيّة، كالتشابه، والاستعارات، والكنيات
المبتكرة، وما أكثرها! فالشاعر يعبر بالصورة لا
بالفكرة عمّا يريد قوله، إذ لا يخلو أيّ نصّ من تشبيه
هنا، واستعارة هناك، أو محسنٍ لفظيٍّ وعقليٍّ يسهّل
عمليّة البثّ والتلقّي.

ويوضح أبعاد مقاربتّه لمفهوم الحداثة الشعريّة
التي تحاور اللغة ولا تتعدّها، تسكن فيها ولا تفجرّها،
تطوّر التراث ولا تتنكّر له، وترتدي جميع الأشكال
من العمود إلى التفعيلة فالنثيرة، لأنّها، في جوهرها،
رؤية معرفيّة جديدة، بها تصير القصيدة الخليليّة أكثر
حداثةً من أيّ شكلٍ جديدٍ خالٍ من هذه الرؤية،
والعكس صحيح.

يقول الشاعر في ديوانه: هذه رؤيتي وبصمة
صوتي، وجماع تجاربي. ولست طالب شهرة أو إطراء
ومحمدة، فتقبّلوني كما أنا في نظرتي للحياة والوجود؛
حين تولي هذه المجموعة شطر وجهها لكم.

لقد كتبت للشاعر مقدمة طويلة لديوانه الأوّل
«همزة الوصل» منذ عدة عقود، أثّنت فيها على
قصائده الغنائيّة: «عيناك الشطّ الإفريقي» التي تغنى

فيها بنهر النيل، واستشهاد سناء محيدلي، و«تقاسيم
على الكمان» و«النار أخدمت القصيدة» وسواها.
وهأنذا اليوم، أكتب مقدمة لديوانه العاشر، وبي
يقين لا يتزعزع أنّ رشيد درباس سيظل يكتب شعراً،
ويقرع ناقوساً في أحد، ويدبج مقالاً، ويلقي خطاباً،
لأن حبره سيبقى حياً يُقرأ.

الْخُبْرُ مُعَقَّلٌ^{١٧} عَلَى مَرَأَى اللَّعَابِ^{١٨}

دَفَنُوا الْأَجِنَّةَ

فِي الْخَلَايَا وَالْبُطُونِ

حَذَرًا...

مِنَ النَّسْلِ الْمُخَبِّإِ فِي الْكَمِينِ

وَتَوَسَّلُوا غَدَرَ الذَّكَاءِ...

مُصَنَّعًا فِي بُؤْرَةِ الشَّرِّ الْمُخَصَّبِ بِالْجُنُونِ

كَيْ يَبْحَثَ الْجَاسُوسُ فِي الْأَرْحَامِ عَنْ نُطْفٍ

تُفَخِّخُ فِي الْهُوَاجِسِ وَالظُّنُونِ

بَقَرُوا الْقُبُورَ
تَحْسِبًا مِنْ حَامِلٍ
جُثْمَانُهَا يَخْنُو
عَلَى رَمَقِ الْجَنِينِ
آلَا تُهْمُ مِنْ دِقَّةٍ... بَشَتْ لَهُمْ
هَمَسَ التَّنَاجِي
وَارْتَعَاشَاتِ الْجُفُونِ
جَعَلُوا الْعِرَاءَ مُخَيَّمًا مُتَرَامِيًا
نُصِبَتْ مَضَارِبُهُ

لَأُشْلَاءِ الْبَنِينَ
فَعُصُورُ أَطْفَالِ الْحِجَارَةِ
دُمِّرَتْ آثَارُهَا...

بِقُنَابِلِ الْعَصْرِ الْهَجِينِ
وَالْتَيْنُ وَالزَّيْتُونُ وَاللَّيْمُونُ وَالْأَنْسَامُ
فِي مَنْفَى عَنِ الْبَلَدِ الْأَمِينِ
وَهَوَى الْحَمَامُ مَضَرَّجًا
فِي حُسْنِ نَيْتِهِ الَّتِي نَزَفَتْ
عَلَى الْغُصْنِ الْحَزِينِ
الشَّيْنُ جَفَّتْ
مِنْ نِقَاطِ شَرَابِهَا

فَعَدَتْ سَرَابًا
خَادِعًا نَبَعَ الْيَقِينِ
وَالْخُبْرُ مُعْتَقَلٌ عَلَى مَرَأَى لُعَابِ حَائِرٍ
مِنْ جَفْوَةِ الْقَمَحِ الضَّيْنِ
الْجَوْ خَالَ الْبَرَّ أَخْلَى أَهْلَهُ
وَالْبَحْرَ مُبْتَلِعًا لِرُكَّابِ السَّفِينِ

لَكِنَّمَا الشُّهَدَاءُ
عِنْدَ رَحِيلِهِمْ
غَرَزُوا غَرَائِزَهُمْ
بِأَحْدَاقِ الْعُيُونِ

منذ قابيل

بَيْنَ صَلْصَالٍ وَمُخْتَلَطٍ
جِبِلَ الْإِنْسَانُ فِي لَغَطٍ

لَبَسَتْهُ نَفْسُهُ وَمَضَتْ
تَخْدَعُ الْأَنْسَالَ بِالنَّمَطِ

آدَمُ التُّفَّاحِ فِي كَمَدٍ
خَاسِرٍ «لِلْجِلْدِ وَالسَّقَطِ»

بِكُرْهُ أَرْدَى أَخَاهُ عَلَى
مَنْبِتِ النُّعْمَانِ ... وَالْحِنَطِ

فَغَدَا الْمَرْعَى بِسُنْبِلِهِ
ذَكَرِيَّاتِ الْقَتْلِ ... وَالْقَحَطِ

أَصْبَحَ التَّجْوِيعُ قُنْبَلَةً
مِنْ دَمَارٍ شَامِلِ الْخِطَطِ

أَيَّظَلُّ الْمَاءُ مُحْتَبَسًا
فِي سَرَابٍ ... غَيْرِ مُنْضَبِطٍ؟

أَضْمِيرُ الْكَوْنِ مَقْبَرَةٌ
سَوَّتِ الْأَطْفَالَ... بِالْقَطْطِ؟

حَلَقَاتُ الْمَوْتِ سِلْسِلَةٌ
بَيْنَ سَفَّاحٍ... وَمُغْتَبِطٍ

مُنْذُ قَابِلِ الَّذِي زَعَمُوا
مَذْبَحُ الدُّنْيَا... عَلَى شَطْطٍ

الرَّمْلُ يَشْحَدُ النَّسْلَ

لَا دَرْبَ سِوَاهُ... وَهَا هُوَذَا
رَيْثًا نَمْشِيهِ... أَوْ هَمَذَا

شَيْخُوخَةُ أَوْلَادٍ هَرَمُوا
فِي لَمَحِ السَّهْمِ... إِذَا نَفَذَا

لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ أَرْذَلُهُ
إِلَّا... مَنْ حُفِرَتْهُ انْتَبَدَا

أُخِذَ الْأَطْفَالُ بِمَلْعَبِهِمْ
يَا وَيْحَ الطُّفْلِ بِمَا أُخِذَا

سَفَّاحُ الْعَصْرِ عَلَى نَهَمٍ
أَأَصَابَ ضَمِيرَ الْعَصْرِ أَذَى؟

وَالْقُدُسُ قِيَامَتُهَا لُغَةً
مَا يَبْنِ «الْلَيْتَ»... وَيَا حَبْدَا

وَعَشَاءُ السَّيِّدِ مِنْ قِدَمٍ
يُنْدَسُّ عَلَيْهِ... «يَهُودَا»

لَكِنَّ الرَّمْلَ عِنْدُ حَصَى
يَسْتَلُّ النَّسْلَ ... وما شُحِدا

ما زال السَّطْرُ عَلَى نَمَطٍ
يَحْذُو ما سَطْرٌ ... قَبْلُ ... حَدا

وَوَفَاءُ النَّخْلِ لِرَمَلَتِهِ
كَالرَّمْلَةِ ... لم يَمْسَسْهُ قَدَى

أُحَرِّفُ مُسِنَّةً

مَا عَلَيْهِ إِنْ نَفَضَا
هَمَّهُ... وَمَا عَرَضَا

عَنْ رُفُوفِ ذَاكِرَةٍ
يَتَّعِي لَهَا... مَضَضَا

فِي سُطُورِهَا إِبْرُ
وَحَزَنَتُهُ فَانْتَفَضَا

أَخْرَفَ مُسِنَّةً
قَضَعَتْ... كَسِيدَ غَضَا

أَسْرَتْهُ فِي قَلْقٍ
يَتَجَاوَزُ الْمَرْضَا

مَا اكْتَفَى بِحَاضِرِهِ
غَدُهُ غَدَا الْغَرَضَا

دَيْنُهُ مُرَاكَمَةٌ
مِنْ جُمُوحٍ مَا اقْتَرَضَا

كُلَّمَا خَبَا حُلْمٌ
ضَوْءٌ وَهَمِهِ وَمَضَا

رَوَّاحَتْ دَقَائِقُهُ
بَيْنَ «صَارَ»... وَانْقَرَضَا

يَا جَنَاحَ أُمْنِيَّةٍ
هَائِمًا بِكُلِّ فُضَا

إِنْ سَمَوْتَ عَنْ جَبَلٍ
هَلْ نَسِيتَ مُنْخَفِضًا؟

لَيْتَ كُلَّ ثَانِيَةٍ
رُمِّقَتْ بِعَيْنِ رِضَا
فَوْضُوحُ سَاحِلِهَا
حَاجِبٌ لِمَا غَمَضَا
وَسُكُوتُ خَافِقِهَا
هَجَعَةُ الَّذِي نَبَضَا
عُمْرُهُ مَشَى زَمْنًا
فِي رُواقِ مَنْ فَرَضَا

إِنْ أَبَى، فَذَاكَ لَهُ
لَا مَلَامَ... لَا غَضَا

حَقُّهُ بِمِشْيَتِهِ
إِنْ كَبَا، وَإِنْ نَهَضَا

لَحْظَةً يُضَارِعُهَا
تَزْدَرِي بِفِعْلِ مَضَى

خَدَعَتْ وَسَامَتْهَا
نَحْوَهَا الَّذِي رَبَضَا

رَأَوْغَتْهُ وَانْفَلَتَتْ
مِنْ حِمَاهُ... فَاُمْتَعَضَا

عَرَفَتْ مَغَالِقَهُ
فَتَحَتْهُ... فَاَنْقَبَضَا

أَعْرَبَتْهُ... مَا نَشَزَتْ
عَنْ سِيَاقٍ مَا افْتَرَضَا

نَصُّهَا مَدَى ثِقَةٍ
بَارَكْتَهُ حِينَ قَضَى

رَفَلْتُ جَلَالَتُهَا
بِجَلَالِ مَنْ مَحْضَا

لُغَةً أُجِيزَ لَهَا
أَنْ تَجُوزَ مُعْتَرِضَا

رَاكَمُوا جَوَازِمَهَا
مَا عَلَيْهِ إِنْ رَفَضَا

أَبْرَمُوا قَوَاعِدَهَا
مَا جَزَاءُ مَنْ نَقَضَا؟

الشَّيْطَانُ يَعِظُ

شَيْطَانُهُ وَعَظَا
بَاتَ اللِّسَانُ لَظَى

يَتْلُو خُرَافَتَهُ
نَارًا إِذَا لَفَظَا

كِتَابُهُ صَلَفٌ
وَنَصُّهُ غُلُظَا

الْكُونُ يُقْرَأُ
زورًا بما حفظا
فالحَرْبُ مَلْجَأُ
مِنْ حَاصِلِ بَهْظَا
والأَرْضُ مَقْبَرَةٌ
والموتُ مَا اتَّعَظَا

إخفاق

أطيرُ... أطيرُ مَتَى أَلْتَجِي
إِلَى مَهْبِطِ آمِنِ الْمَدْرَجِ
أَفَرِّغُ فِيهِ مَسَافَاتِ عُمْرٍ
وَأَشْحَنُ رِيشِي بِمَا أُرْتَجِي
وَقُودَ هَوَاءٍ، وَنَفْخَ ارْتِقَاءٍ
وَنَفْحَ نَسِيمِ طَرِيٍّ شَجِي

فَمَا تَحْتَ جَوٍّ وَفَوْقَ أَدِيمٍ
جَنَاحٌ عَلَى الْأُفُقِ لَمْ يُسْرِجِ

وَإِخْفَاقُهُ بَعْدَ خَفَقِ خَوَافِ
قَوَادِمُ زَلَّتْ عَنِ الْمَنْهَجِ

إِذَا رَفَّ طَيْرٌ بِمَسَرِّ قَوِيمٍ
رَمَتْهُ الرِّيَّاحُ إِلَى أَعْوَجِ

وَإِنْ تَتَسَاوَى الْقَوَائِمُ طُولًا
تَدْبُّ عَلَى دَرَبِهَا الْأَعْرَجِ

نَفْسًا لِقَافِيَةٍ

الْوَحْيُ مَا بُعِثَا
وَالْعِلْمُ مَا بُحِثَا

وَالْأَرْضُ مَا انْتَسَبَتْ
إِلَّا لِمَنْ حَرَّثَا

إِعْمَارُهَا سَنَنْ
عَنْ صَالِحٍ وَرَثَا

لكنَّهَا شَقِيتُ
مِنْ شَرِّ مَنْ عَيْشَا
فَالْحَرْبُ كَارِثَةٌ
وَالسَّلَامُ مَا اكْتَرْنَا
وَالْحُزْنَ مُنْسَدِلٌ
مَا انْفَكَّ... مَا لَبِثَا
الْعِلْمُ مُغْتَصَبٌ
وَالْوَعْدُ قَدْ نُكِثَا
وَالْجَوُّ مُتَّهَكٌ
بَثَّا لِمَنْ نَفْسَا

عُقْبَى عَلَى قَسَمِ
يَا مُقْسِمًا حَتَّى

الرَّمْلُ تَرْكَبُهُ
يَغْدُو لَكَ الْجَدَا

وَالْمَاءُ تَشْرَبُهُ
مُسْتَنْقَعٌ خَبِثَا

تَعَسَّا لِقَافِيَةٍ
مِنْ هَوْلٍ مَا حَدَّثَا

هَمَّالٌ رُؤَى

هَلِ الْهُوَى يُحَرِّزُ
وَيَحْتَوِيهِ حَيْرٌ
أَمْ أَنَّهُ سَحَابَةٌ
رُعْنَاءُ لَا تُحْتَجِزُ
إِنْ كَانَتْ الْكَلِمَاتُ
فِي عُنُقِ الْيَرَاعِ تُلْغِزُ
هَلْ تَرْسِفُ الْمَعْنَاءُ فِي حُرُوفِهَا...
أَمْ تَقْفِزُ

فَتَمْتَطِي مِنَ الرِّيحِ
صَهْوَةً... وَتَهْمَزُ
جَرِيًّا إِلَى مَا لَا يُرَى
سَعِيًّا إِلَى مَا يُنْجَزُ
وَتَجْتَنِي مُؤَوَّلًا
مِنْ قَمَحِهَا... وَتَخْبِرُ
تَسْتَدْرِجُ الزُّلَالَ مِنْ
مَصْدَرِهِ... وَتَحْفِزُ

ديباجةً وشَّحَها...
بالشَّفَتَيْنِ القِرْمِزُ
والزَّنبُقُ البريُّ
مِغْوَاةٌ عِيُونِ تَعْمِزُ
وأَصْفَرُ مَراهِقُ
يُغْري الحِجْى... وَيَلْمِزُ
عَنْ فِكْرَةٍ عِذْرَاءَ لَمْ
يُفْضَها مُتَتَهِّزُ

فالسَّطْرُ مَرْصُوفُ الْحَصَى

عَقِيمُهُ لَا يُفْرَزُ

فَإِنْ تَوَلَّاهُ الْهُوَى

فَمُبْهَرٌ... وَمُعْجَزُ

لَيْمُونُهُ فِي صَيْفِهِ

وَفِي الشِّتَاءِ الْكَرْزُ

وَفِي الْخَرِيفِ زَهْرُهُ

قَصِيدَةٌ تُرْتَجَزُ

وَجَوْقَةٌ مِنْ بُلْبُلٍ
أَلْحَانُهَا لَا تَنْشُرُ

وَفِي الرَّبِيعِ
بَاقَةٌ الْأَلْقَابُ كَيْفَ تُنْبِرُ
وَأَجْمَلُ الصِّفَاتِ فِي أَسْمَائِهَا تَنْغَرِزُ؟

النَّصُّ حَمَالٌ رُؤَى

وَبِالرُّؤَى يُعَزَّزُ

فِي عُمُقِهِ إِضَاءَةٌ

يُقَبِّسُهَا مُمَيِّزٌ

وَالْكَشْفُ لَا حَدَّ لَهُ

خَفِيَّةٌ لَا يَبْرُزُ

إِلَّا عَلَى كَشَافَةٍ

سَعَوْا إِلَى مَا يَكْنِزُ

كابوس

كَيْفَ فَرَّ السَّرُّ مِنْهُ وَفَشَا
أَوْ مَا أَوْدَعَهُ عُمُقَ الْحَشَا؟

شَفَتَاهُ صَانَتَاهُ... إِنَّمَا
يُعْرِبُ الْقَوْلُ إِذَا الصَّمْتُ وَشَى

لَمَعَةُ الْعَيْنَيْنِ مَاءٌ ذَابِلٌ
يَزْعُمُ الرِّيَّ... وَيُخْفِي عَطْشَا

تَمَتَّتْ نَجْوَاهُ... أَصَغَى هَاجِسُ
غَلَبَ السُّكْرُ عَلَيْهِ... فَانْتَشَى

لِصَدَى النَّفْسِ حَوَارٍ مُبْهِمٍ
يَبْنِ جَنٌّ يَدَّعُونَ الطَّرْشَا

أَنْزَلَ اللَّيْلَ عَلَيْهِ حُلْمًا
فَاحْتَمَى فِي ظِلِّهِ وَافْتَرَشَا

غَيْرَ أَنَّ الشَّمْسَ مِنْ بَعْدِ الدُّجَى
تَهْتِكُ الظِّلَّ، فَيَعْدُو غَبْشَا

يَا كَلِيلَ الْحِسِّ... هَذَا سِرُّهُ
وَتَرُّ أَنْ وَلَحْنٌ أَجْهَشَا؟

لَثَمَ النَّايَ، فَزَّتْ بُحَّةٌ
أَيُّ ثُقُبٍ مِنْ حَنِينٍ خَدَشَا؟

أَرْجَعَ الْآهَ إِلَى بَيْتِهَا
قَصَبٌ مَاسٍ... وَقَدْ رَعَشَا

أَيُّهَا الطَّاوُوسُ فِي غَفْلَتِهِ
أَحْسِبْتَ الْمَجْدَ ذَيْلًا نَفْسَا

كُلُّ رَيْشٍ رَفَّ فِي أَجْوَاذِهِ
جَذَبَتْهُ أَرْضُهُ فَاكْمَشَا

كَتَمَ الْكَابُوسُ أَنْفَاسَ الرُّؤَى
كَيْفَ صَارَ الصَّحْوُ فِعْلاً مُنْعِشَا؟

وَسِعَتْ عَيْنَاهُ آفَاقَ الْخُطَى
وَيَحَهُ... فِي أَيِّ مِضْمَارٍ مَشَى؟

هَلْ يَحْلُمُ الْحَمَامُ؟

تَمُرُّ السَّنُونَ...

وَمَا زِلْتُ أَشْقَى بِهِمَّ الْغُلَامِ

تَعَرَّيْتُ لَمَّا ارْتَدَيْتُ الظَّلَامَ

كَأَنَّ اللَّيَالِي أَشْعَتْ «سَيْنِ»

يُعَرِّفُ مَجْهُولَهَا «الْأَلْفُ لَامٌ»

أَغَامِضُ أَصْلٍ... يُمِيطُ اللَّثَامَ

لِتَبْدُو الْحَيَاةُ

مَمَرًا سَرِيعَ الْحِمَامِ؟

لَوْ أَنِّي بَقِيتُ بِرِيِّ النَّهَارِ...
خِلَالَ الْمَنَامِ
لَكُنْتُ حَبَسْتُ جُمُوحَ رُؤَايَ...
بِقُمْقُمٍ وَعَنِي... مَتَيْنِ الصَّامِ
لَوْ أَنِّي لَجَمْتُ لِسَانِي...
فَمَا جَاَزَ سَطْحَ الْكَلَامِ
لَمَا غُصَّ قَلْبِي...
بِهَذَا حَالًا... وَذَلِكَ حَرَامٌ
أَرَفُ الْحَمَامِ
يَكَابِدُ أَحْلَامَ قَنَصٍ زُؤَامِ

فَلِمَ لَا أُسَايِرُ رَكْبَ النَّعَامِ
فَأَذْفِنُ رَأْسِي
وَأَنْفُسُ رِيشِي،
وَأَنْفُسُ عَنِّي ذَاكَ الْغُلَامِ؟

أُسْئَلَةُ

أُسْجَنُ عِنْدَ الصَّبَاحِ
لِيُطْلَقَ لَيْلِي سَـرَاحِي

أَفِي الضُّوْءِ رَهْنٌ اِعْتِقَالٍ
وَفِي الْعَتَمِ حُرُّ الْجَنَاحِ؟

فَنُصْـفِي أَرْتَهُ النُّجُومُ
ضَالَّةَ أَرْضِي وَسَاحِي

وَنُصِفُ يَرَى فِي الشُّعَاعِ
لِجَامًا لِكَبْحِ الْجِمَاحِ
يُوتِّرُ نِصْفَيَّ بَرْقُ
يُؤَجِّجُ عَصْفَ الرِّيَّاحِ
أَبَالْمُسْتَحِيلِ نُحَاوِلُ
وَصَلًّا بِأَمْرِ مُتَّاحِ
أَمْ إِنَّ الْمُنْتَاحَ سَرَابٌ
تَشْرَبُ جِرْعَةً رَاحٍ؟

مِنْ أَوَّلٍ ... لآخِرِ

ذَاكَرَتِي حَقِيبَةُ الْمُسَافِرِ

مَلَأَى بِأَسْرَارِي... وَبِالْخَوَاطِرِ

فَإِنْ أَنَا فَتَشْتُ فِي النُّسْيَانِ عَنْ حَقِيقَتِي

فَرَّتْ كَخَوْفِ الطَّائِرِ

وَكُلَّمَا جَدَّ عَلَيْهَا حَاضِرٌ...

تَشَبَّثَ بِالْغَابِرِ

وَأَخْرَجَتْهُ فَوْقَ سَطْحِ الْيَوْمِ...
أَمْسًا لَمْ يَزَلْ فِي قَبْضَةِ الْمَحَاجِرِ
كَأَنَّهُ الْمَزْرُوعُ فِي مَجَاهِلِ الْمَشَاعِرِ
مَا أَنْصَفْتَنِي رُؤْيَايَ لِمَوْلَدِي...
بَرْقِيَّةً خَاطِفَةً... مِنْ أَوَّلٍ... لِأَخِرٍ...
مَا ضَرَّنِي... لَوْ أَنَّني فِي خَرْفٍ
هَلْ سَرَّنِي جَلَاءُ مَا فِي نَظْرِي؟

نصفُ خِراع

الماءُ لا لَوْنَ لَهُ... والْبَحْرُ أَزْرَقُ
والنَّهْرُ أَخْضَرُ كما ظِلُّ بأَغْصَانٍ تَعَلَّقُ
والثَّلَجُ قُطْنٌ... أَصْلُهُ ماءٌ تَرَقَّرَقُ
مَنْ نَدَفَ الْأَبْيَضُ ثَوْبًا... لِحِرُّودٍ تَتَأَنَّقُ
وَكَيْفَ نَيْسَانُ تَفَشَّى... كَثُفُوبٍ لَيْسَ تُرْتَقُ
مَنْ فَصَّلَ الْأَزْيَاءَ لِلْمَاءِ... وَنَمَّقُ

أَيُّ مِنَ الْأَلْوَانِ أَلْيَقُ
أَخْضَرُ... أَمْ أَبْيَضُ... أَمْ أَزْرَقُ...

فِي نَوَلِ رَوْنَقٍ؟
أَمْ أَنَّهُ اللَّالُونُ أَصْدَقُ؟
أَمْ يَا تُرَى إِنْسَانُ عَيْنٍ
غَافِلَ الْوَعْيِ وَحَدِّقُ؟

رَأَيْتَ بَعِينِكَ عَمْرًا جَمِيدًا

تَوَكَّأْتُ مِنْذُ الشَّبابِ عَلَيْكَ
فَهَلَّا تَوَكَّأْتَ يَوْمًا عَلَيَّ

كَأَنِّي نَزِيلُ حَضَانَةٍ أُمَّ
تُحَاصِرُ بِالْحُبِّ طَيْشَ الصَّبِيِّ

أَمِنْ رَتَيْتِكَ أَشْمُ الْهَوَاءِ
أَمْ أَنِّي، بِنَبْضِ فَوَادِكِ حَيٌّ؟

فَهْذِي الدَّمَاءَ... بِصُغْرَى وَكُبْرَى
تَدَوَّرُ لِتَسْرَبَ مِنْكَ... إِلَيَّ

دَنَوْتُ... فَلَمَّا بَلَغْتُ حِمَاكِ
تَرَقَّرَقَ ضَوْءُ لَطِيفٍ حَيٍّ

رَصَدْتُ الْبَصِيصَ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ
وَصَارَ أَشْعَةً وَهَجٍ طَلِيٍّ

رَأَيْتُ بِعَيْنَيْكَ عُمْرًا جَمِيلًا
يُخَفِّفُ عَنِّي... رُؤْيَ مُقْلَتِي

تَمَلَّكْتَ سَمْعِي وَدَمْعِي وَشِعْرِي
وَدَهْرِي... فَمَاذَا... تَبْقَى لَدَيَّ؟

لعاب

لُعَابُ سَالٍ مِنْ مُفْتَرٍّ فَجَرٍ
فَخِلْتُ الشَّمْسَ مِنْ نَوْمٍ وَصَبْرٍ

تَعَرَّتْ مِنْ أَشْعَتِهَا وَأَغْفَتْ
فَجُنْحُ اللَّيْلِ سِتْرٌ لِلتَّعَرِّي

حَشَايَاهَا وَسَادٌ مِنْ مَنَامٍ
تَثَاءَبَ صَحْوُهُ مِنْ لَثَمِ ثَغْرِ

كَأَنَّ اللَّيْلَ مَجْبُولٌ بِنُورٍ
يُؤَلِّفُ ضِدَّهُ مِنْ حَيْثُ يَدْرِي

فَنَصَفُ الْيَوْمِ نَقْضِيهِ بِغَمَضٍ
وَنَصَفُ غَائِرٍ فِي عُمُقِ حَبْرِ

كَأَنَّ هَوَانَا جَدَلٌ

كَأَنَّ هَوَانَا جَدَلٌ

كَقَمَّةِ ثُلُجٍ... لِسْفَحِ جَبَلٍ

وَسُقْيَا تَلْوُحٍ كَبِنَتْ ثَمَلٌ

وَمَاءٍ تَرْنَحَ فِي جَدُولِي شَغَفٍ وَخَجَلٍ

وَوَهْجِ سَرَابٍ... وَشِيكِ الْبَلَلِ

وَلَمْسِ الْحَرِيرِ... بِطَرْفِ الْمُقَلِّ

وَعَيْشِ الْمُحِبِّ... بِقُرْبِ الْأَمَلِ
كَثَغْرِ يُزَمُّ عَلَى غَامِضٍ
مِنْ شَهْيِ الْغَزْلِ
وَيَجْلُو نُعُومَةَ خَدَّيْكَ...
مُنْزَلًا لِلْقَبْلِ.

أَيْنَ مِنْ عَيْنِيَّ

حينَ ظَنَّ العودُ مِنْ بَعْدِ جَفَافٍ
أَنَّهُ يُمَسِّكُ عِطْرَهُ
فَاتَهُ نَزْفُ الثَّوَانِي... قَطْرَةً تَزَحْمُ قَطْرَهُ
لَمْ يَزَلْ يَبْغِي فِرَارًا لِإِخْضَارٍ...
وَلِسَانٌ لَاهِبٌ يَمْتَدُّ إِثْرَهُ
يَحْزَنُ المَرْءُ إِذَا مَا أَفْشَتِ المَرْأَةُ سِرَّهُ

فَيُرْشُ الصَّفْحَةَ الْمَلْسَاءَ؛ كَيْ يَخْضِبَ عُمَرَهُ
«أَيْسَوِي بِيَدِ الْأَصْبَاغِ شَعْرَهُ»؟
«هَلْ تَشَهَّى الْكَأْسُ ثَغْرَهُ»؟
هَذَا اللَّغْدُ... وَأَبْدَى الْجِلْدُ غَدْرَهُ
أَتَرَى كُلَّ قَدِيمٍ يَتَزَيَّأُ بِجَدِيدٍ...
عَلَّهِ يُرْجَى أَمْرُهُ؟
لَيْسَ فِي الْبَضِّ لِقَاحُ
يَحْقُنُ النَّاشِفَ خُضْرَهُ

يَعْتَقُ الْإِنْسَانُ فِي خَابِيَةِ الْجِسْمِ
إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْجِسْمُ مَقَرَّهُ
وَحَدَّهُ الْكَرْمُ إِذَا مَا شَابَ فِي كَهْفِ السَّجَايَا
كَرَّمَ الْكَهْفُ سَجَايَاهُ وَخَمَرَهُ
يَنْضَجُ الْعَقْلُ ذُبُولًا ...
وَنَضِيجُ الرَّاحِ لِلرُّوحِ مَسَرَّهُ
لَيْتَ أَنَّ الْعَيْشَ سَكَبُ
لَيْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ... سَكَّرَهُ

النَّفْسُ عَلَى الْهَوَاءِ

لَا تَسْتَخَفُّوا بِالثَّوَانِي، فَهِيَ مَجْمُوعُ الْحَيَاةِ
خَطَوَاتُهَا مَكْتُوبَةٌ فَوْقَ الْوُجُوهِ وَالْجِبَاهِ
مَذَاقُهَا مَرَارَةٌ كَامِنَةٌ قُرْبَ الشِّفَاهِ
مَا رَشَفَهُ الْوَقْتُ سِوَى سَمٍّ تَخْفَى فِي مِيَاهِ
مَا صَخَّرَهُ مَنَحُوتَةٌ، وَمَا رَوَايَاتُ رُؤَاةِ
أَوْ حَفْلَةٍ تُقَامُ تَأْيِينَاً لَنَا بَعْدَ الْوَفَاةِ

ما سِرُّ راحِلٍ يعيشُ بَيْنَنَا وَلَا نَرَاهُ؟
السِّرُّ فِي أَنْ يَحْفَظَ التُّرَابُ آثَارَ خُطَاهُ
وَأَنْ يَظَلَّ الْخَطُوءُ مُمْتَدًّا إِلَى عُقْرِ سَمَاهُ
فَالْعُمُرُ يَدْرِي عَقْرِبَاهُ طَوْلَهُ وَمُتْنَاهُ
وَالْمَرْءُ يَخْشَى غَدْرَهُ... أَوْ عَلَّهْ يَبْغِي سِوَاهُ
إِنْ شِئْتَ أَنْ تُعَانِدَ الْمَوْتَ وَمَا جَنَّتْ يَدَاهُ
فَانْقُشْ عَلَى هَوَائِكَ الذِّكْرَى، عَلَى عَكْسِ هَوَاهُ

لھامش علی «خبر و عیش و قمر»

فُجِعُ الشُّعْرُ عَلَى مَدِّ لُغَاتِ الْبَشَرِ
حِينَ دَاسَ الْعِلْمُ وَجْهَ الْقَمَرِ
بَعْدَ بَثِّ الصُّورِ
لَمْ يَقُلْ شَيْئًا نِزَارُ
فَتَلَا شَتَّ مُفْرَدَاتِ السَّمَرِ

وَعَدَا حُبْرُ دِمَشْقٍ يَا بَسًا... كَالسَّهَرِ
وَحَشِيشُ الْكَيْفِ أَضْحَى ذَابِلًا مِنْ خَدَرٍ
«مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ قُرْصُ ضِيَاءٍ»
مُنْذُ فَجَرِ الْعُمُرِ
لَمْ يَزَلْ يَنْسَلُ فِي الشُّبَّاكِ نُورًا
يَلْتُمُ الثَّغْرَ،
وَيُولِي الصُّبْحَ مَحْوَ الْأَثَرِ
يَنْفُضُ الْغَيْمَ وَيَغْفُو
فِي غُصُونِ الشَّجَرِ

و«لَقَيْسٍ» هُوَ «لَيْلَى» فِي خِدَاعِ الْبَصْرِ
وَهُوَ شَهْرٌ مُلَغَزٌ عِنْدَ حَدِيدِ النَّظَرِ
نَزَلَ الرَّائِدُ فِي مَنْزِلٍ بَدْرٍ...
ثُمَّ وَلَّى...
قَبْلَ أَنْ يَغْدُو مُحَاقًا... أَوْ هِلَالًا
خَوْفَ أَنْ يَرْجِعَ عُرجونا قَدِيمًا...
عِنْدَ حَدِّ الْخَطَرِ

غموض

عَنْ صَاحِبِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ
وَجَلِيِّ الْمَتْنِ تَحْتَ الْمَجْهَرِ
وَلَهَيْبٍ قَدَحَتَهُ مَوْرِيَاتُ الْحَجَرِ
وَاحْتِكَالِ الْغَيْمِ قَبْلَ الْمَطَرِ
وَبُرُوقِ خَاطِفَاتِ الْبَصَرِ
وَرُغُودِ دَاوِيَاتِ الشَّرَرِ

رُغْمَ شَمْسٍ شَعَشَعَتْ فِي الذِّكْرِ
وَ«ابْنِ رُشْدٍ» يَشْرَحُ الْحِكْمَةَ طُولَ الْبَشْرِ
وَ«جَلالِ الدِّينِ» يَشْدُو فِي اتِّسَاعِ «النَّقَرِيِّ»
رُغْمَ هَذَا... ضَاقَتِ الرُّؤْيَا أَمَامِي
كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يَزَلْ مُلْتَبِسًا فِي نَظْرِي

شعراء

حَفِظْتُ قَصَائِدَ سُكَّرٍ تُعَرِّبُ بَيْنَ الْخَوَابِي
وَتُؤَغِّرُ صَدْرَ الدُّنَانِ... لِتُرْغِي بِفَيْضِ الْحَبَابِ
فَخِلْتُ الْقَوَافِي كُؤُوسًا تَدُورُ بِفَقْدِ الصَّوَابِ
وَأَنَّ السُّطُورَ الدَّوَالِي تَغْصُ بِسِرِّ الشَّرَابِ
وَهَمْتُ بِشَعْرِ يُضِيءُ الْعَذَارَى وَرَاءَ الْحِجَابِ

وَيَرْصُدُ هَوْدَجَ حَجٍّ يَتِيهِ بِحَمَلِ الْكَعَابِ
عَلَى نَاقَةٍ سَرَّهَا... مَا يَكُونُ... بُعِيدَ غِيَابِ
وَفِيهِ رَأَيْتُ ثَمَارَ الْقَوَامِ... بِهِتْكَ الثِّيَابِ
«فَبَشَّارُ» جَاوَزَ أَقْصَى الْمُجُونِ بِغَيْرِ احْتِسَابِ
وَنُسْكَ «صَرِيعِ الْغَوَانِي»... تَأْتِي غَدَاةَ اكْتِسَابِ
وَفِيهَا «ابْنُ هَانِي» يُذِيبُ الذُّنُوبَ بِعَفْوٍ مُجَابِ

«وَحَيَّامٌ» خَمِرٌ يَثُوبُ إِلَيْهِ... لِفَوْتِ الشَّابِّ
يَعَافُ «الرَّهَيْنُ» ثَوَابًا... وَيُنْكِرُ أَمْرَ الْعِقَابِ
أَتُوبَةُ شَيْخٍ تُكَافَأُ بِالْعَفْوِ يَوْمَ الْحِسَابِ؟
لِيَبْقَى جِزَاءُ جُمُوحِ الشَّابِّ... مَحَلَّ ارْتِيَابِ

زَهَبُ الله

هَلِ اسْتَمَدَّ الْإِسْمَ مِنْ هَنْدَسَةِ الْأَشْكَالِ
أَمْ مِنْ هَرَمٍ ... رَاكَمُهُ مَرُّ الْعُهُودِ؟
هَلْ وَافَقَ النَّيْلُ عَلَى عِمَارَةٍ
تُزَاحِمُ الْمَقَامَ فِي الْخُلُودِ؟
بُحَيْرَةٌ تَدَفَّقَتْ
كَيْ تَجْعَلَ الصَّخْرَاءَ فُسْطَاطَ الْوُجُودِ

«خوفو» سَلِيلُ الطَّمِي مُنْذُ الْمَنْبَعِ الْعَالِي...
إِلَى مَا لَا حُدُودَ
تُرَى أَقَامَ صَرْحَهُ مُنَافِسًا
أَمْ حَارِسًا رَمْلًا شَرُودَ؟
وَ«خَفَرَعٌ» مِنْ بَعْدِهِ...
رَكَبَ عَقْلًا فَوْقَ جِسْمِ السَّبْعِ
هَوْلًا لِعُزَاةٍ وَحُشُودَ
إِنْ سَكَتَ النَّصْبُ... فَحَسْبُهُ فَصَاحَةُ الصُّمُودَ

كَمْ وَرَدَ الْفُرَاتَ مَكْتُومَ الزَّيْرِ
رَافِعًا جِسْرَ وَصَالٍ ... بَيْنَ «شَطِّ» وَ«صَعِيدٍ»؟
مَخَالِبُ مِنْ هَيْبَةِ الدُّهُورِ ...
لَا ضَرَاوَةَ الْأَسْوَدِ
مِنْ بَعْدِ قَصْفِ أَنْفِهِ
مَا زَالَ ذَا شَمٍّ بَعِيدٍ
فِي مُحَجَّرِيهِ ...
نَظَرٌ مُسْتَبْطِنٌ سَرِيرَةَ الْقَلْبِ الْحَقُّودِ

رَشْحُ الحَصَى ... سُقْيَا رُفَاتٍ
تَشْتَهِي الصَّخْوَ ... مِنَ المَوْتِ البَلِيدِ
«مَرَاكِبُ الشَّمْسِ» رَسَتْ فِي رَمْلِهِ ...
فَأَحْكَمَتْ رِبَاطَهَا أَشْعَةً..
مِنْ ذَهَبِ اللّهِ
وَأَشْوَاقِ الصُّعُودِ

مزاجُ الجنين

يُلحُّ عليَّ... كَمَثَلِ الطَّيْنِ
وَيَقْرَأُ مِنْ صَفَحَاتِ حَيَاتِي... مِائَاتِ السَّنِينَ
وَيَكْشِفُ أَنِّي... عَشِقْتُ الْغِنَاءَ
كَعَفْوِ النَّفْسِ فِي الْيَاسَمِينِ
لَأَنِّي... بِأَحْشَاءِ أُمِّي
سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ يَشْدُو عِذَابَ اللَّحُونِ
أَكَانَ... يُغْنِي... لِيُطْرِبَهَا...
أَمْ لِيَصْقَلَ مِزَاجَ الْجَنِينِ؟

تَوَّخُّرُوجِي... اسْتَبَدَّ الْحَنِينُ
وَأَقْلَقَ رُوحِي فِرَاقُ الظَّلَامِ الْأَمِينِ
فَكُلُّ شُعَاعٍ...
يُعَكِّرُ صَفْوَ الْيَقِينِ
وَكُلُّ ضِيَاءٍ طَلَّاعٍ شَكٌّ... وَوَحْزُ عُيُونِ
وَلَكِنَّ بَعْدَ الضِّيَاءِ... ظَلَامٌ أَفْوَلِ
فَأَيْنَ ظَلَامُ الْبُطُونِ الْحَنُونِ
وَلَمَّا بَلَغْتُ أَوَائِلَ رُشْدِي
أَعَزَّتْ اهْتِمَامِي... لِهَمْسِ الْجُنُونِ

فَصَارَ صُرَاخًا...
وَصَارَ ضَلَالًا مُبِينًا
وَأَغْرَى السَّرَابُ شَبَابِي...
وَعَذَرُ الظُّنُونِ
فِيَا لَيْتَنِي مَا تَخَطَيْتُ سِنَّ الصَّبِيِّ
وَالَّا...
فَلَيْتَ خُلِقْتُ عَجُوزًا رَصِينًا
سَدَاجَةً طِفْلٍ...
وَحِكْمَةً شَيْخٍ
غِلَافَا الْكِتَابِ الْحَزِينِ

على هامشٍ من قديم المُتُونِ
أُذَوِّنُ أَنَّ طِلَابَ الْخُلُودِ
اتَّزَانُ الْوُجُودِ الْمَتِينِ
لِكُلِّ امْرِئٍ أَنْ يُحَاوِلَ عُمْرًا جَدِيدًا
تَنْصَلِّ مِنْ ذِكْرِيَاتِ الشُّجُونِ
وَيَنْشُدَ نَهْرًا طَهُورًا
لِيَسْبَحَ فِيهِ بَعْكَسَ الْمَنُونِ
وَبَعْضُ يَرَى كَوْنًا خَالِدًا
يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ حِينٍ
بِمَوْجِ الْبَنِينِ

وَصِيَّةٌ

رَأَيْتُ الْمَوْتَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً
وَأَنْذَرَنِي ...
فَلَمْ أَفْتَحْ بَرِيدَهُ
وَحِينَ أَعَادَنِي لِلْوَعْيِ ...
لَمْ أَقْرَأْ نَعِيًّا فِي جَرِيدِهِ
مَدَى غَيْبُوتِي ... طَارَدْتُ أَحْلَامًا شَرِيدَةً
لَعَلِّي أَفْهَمُ الْآخَرَى ...
فَرَدَّتْنِي عَلَى عَقْبِي ...

طَلَا سَمُهَا... وَأَسْرَارُ عَنِيدَه
كَتَبْتُ وَصِيَّتِي... مِنْ وَحْيٍ تَجَرَّبَتِي
شَقَاءُ الْعُمُرِ... أَيَّامٌ سَعِيدَه
فَأَرْجَأْتُ الذَّهَابَ بِزَعَمِ أَنِّي
لَمْ أَكْمَلْ بَعْدُ... أَيْبَاتِ الْقَصِيدَه

رَيْكُ الْإِنْسِ الْعَمِصِيِّ*

يَا نَدَامَايَ عَلَى مَرِّ الشَّرَابِ
يَفْقِدُ الْمَجْلِسُ أَهْلًا وَنِصَابُ
كُلِّ كُرْسِيٍّ خَلَا مِنْ شَاغِلٍ
شَغَلَ النَّفْسَ شُغورًا وَاعْتِرَابُ
رَحَلَ السَّاقِي عَنِ الشَّرْبِ، فَمَا
يَنْفَعُ الدَّمْعُ... وَلَا يُجِدِي الْعِتَابُ
رَاحَهُ دَفْقُ حُرُوفٍ شَعَشَعَتْ
فَكُؤُوسُ الشُّعْرِ... أَلْفَاظُ عَذَابُ

* في وداع الدكتور أحمد الحمصي .

كم سَبَكْنَاهَا لِسَكْبِ غَامِضٍ
فَأَخَذْنَا عَنْهُ تَجْسِيدُ السَّرَابِ
وَتَعَلَّمْنَا قَوِيمَ النُّطْقِ مِنْ
حَضْرَةِ النَّصِّ الْمُحَلَّى بِالصَّوَابِ
وَنَظِيمِ الْوِزْنِ لِلإِبْحَارِ فِي
لُجَجِ تَرْجِي تَفَاعِيلِ الْعُبَابِ
ذَهَبَ الْحِمَاصِيُّ دِيكَ الْإِنْسِ...
بَعْدَ أَذَانٍ مِنْ تَرَاتِيلِ الثَّوَابِ
تَأْمَنُ الْفُضْحَى إِلَى حَارِسِهَا
كَأَمَانِ التُّبْرِ فِي حُرِّ التُّرَابِ

أبناء الحواس

نَحْنُ أُنْبَاءُ الْحَوَاسِ
إِنْ فَقَدْنَا وَاحِدَهُ
ثَقُلَ الْعَيْشُ ... كَدَيْنِ أَثْقَلَتْهُ الْفَائِدَةُ
وَقَضَيْنَا مَا تَبَقَّى فِي نُعَاسِ

إِنْ خَبَا عَنْ مَلْمَسٍ دِفْءُ تَمَاسٍ
وَتَلَا شَتْ بَصَمَاتٌ فِي بَنَانٍ بَارِدَهُ
وَدَلِيلُ الْجِلْدِ أَعْمَاهُ... شَحِيحُ الْفَائِدَةِ
رُذِلَ الْعُمُرُ... إِلَى خَطِّ التَّمَاسِ

كُلُّ مَا يَطْفُو عَلَى الْعَيْنَيْنِ أَضْغَاثُ التِّبَاسِ
بَيْنَ رَسْمٍ ... وَحُرُوفٍ جَامِدَةٍ
آيَةُ الْإِبْصَارِ ... رَصْدٌ لِلطُّيُورِ الْعَائِدَةِ
مِنْ طِبَاقٍ ... لَمْ يُعَكِّرْهَا جُنَاسٌ

ذَبَدَبَاتُ أَبَدَعَتْ أَشْكَالَنَا دُونَ اقْتِبَاسِ
نَبْرَاتٍ مُنَحَتْ فِي مَدْخَلِ الْأُذُنِ
هُوَيَّاتِ نَفُوسٍ شَارِدَةٍ
وَخِرَانَاتِ لُحُونٍ خَالِدَةٍ
وَمَرَايَا... لَمْ يُصِيبْهَا صَمَمُ الْعُمُرِ
وَلَا طُولُ الْمِرَاسِ

أَيُّهَا الْأَنْفُ الَّذِي طَالَ إِلَى فُلٍّ وَأَسْ
مِنْ صَبَاحِ الْوَرْدِ حَتَّى الذَّابِلَاتِ الْخَامِدَةِ
نَفْحَةً مِنْ غَايِرٍ... تَطْوِي عُهْدًا بَائِدَةً
فَكَأَنَّ الْعِطْرَ جَهْرٌ وَاخْتِلَاسٌ

خُبِرُ أُمِّي - قال «دَرْوِش» -

اشْتِهَاءٌ... وَالْتِمَاسُ

مِنْ لِسَانِ النَّارِ بَدْرٌ سَاطِعٌ

بَيْنَ نُجُومِ الْمَائِدَةِ

أَهٍ مِنْ قَمَحٍ رَغِيفِ الْوَالِدَةِ

كُلَّمَا لَجَّ مَذَاقٌ...

جُعْتُ مِنْ كَعْبٍ... لِرَاسِ

جبر عَشِيفٌ ورق

أَقِرُّ أَنِّي مُزْمَنٌ فِي الْقَلَقِ
وَأَنَّ نَوْمِي مُغْرَقٌ فِي الْأَرْقِ

فَإِنْ يُلْخَ لِي سَانِحٌ فَرِحُ
عَدَدَتُهُ خَدِيعَةٌ لِلْحَدَقِ

تَطَيَّرْتُ نَفْسِي عَلَى صِغَرٍ
وَمَا اسْتَقَرَّتْ حِينَ شَاخَ الرَّمَقُ

كَأَنِّي خُلِقْتُ مِنْ هَلَعٍ
أَهَكَذَا كُلُّ أَشْتِقَاقِ الْعَلَقِ؟

يَا رَحْلَةً طَالَتْ عَلَى مَضَضٍ
لُجَّتْهَا جَبْرٌ عَشِيقُ وَرَقٍ

جَعَلَتْ أَكْفَانِي نُصُوصًا خَبَتْ
وَأَحْرُفًا مِنْ بَاهِتَاتِ الْأَلْقِ

كَمْ مِنْ جِبِلٍّ قَبَلْنَا هَلَكُوا
كَمْ بَعَدْنَا... سَيَعْبُرُونَ النَّقْصَ

تَجَاوَرَتْ أَعْصُرُهُمْ... فإِذَا
جَوَارِهَا لُقِيََا عَلَى مُفْتَرَقِ

يَا وَيْحَ قَلْبِ حُبَّةٍ جَزَعٌ
وَنَبْضُهُ وَسُوسَةٌ مُذْ خَفَقَ

يَخْشَى عَلَى أَبْنَائِهِ زَمْنًا
يَعْدُ بِالْأَنْفَاسِ حَبَّ الْعَرَقِ

حَتَّى إِذَا شُدَّتْ سَفَائِنُهُمْ
وَأَشْرَعُوا أَيَّامَهُمْ لِلْأُفُقِ

تَجَدَّدَ الْخَوْفُ عَلَى حَفْدِ
مِنْ جَشَعِ الْمَوْجِ وَشِدْقِ الْغَرَقِ
وَاحْيِرَةَ السُّؤَالِ هَلْ هَذَاهُ
إِذَا عَلَى الْعُمُرِ التُّرَابُ اصْطَفَقَ؟
وَالنَّفْسُ يَوْمَ ذَاكَ، هَلْ تَرْتَدِي
نَمْلَ ثَرَى... لَهُ دَيْبُ الْقَلَقِ؟

قلت في ندوة حول الميثاق الوطني، إنني لم أر ذاك الميثاق إلا الإعلان السياسي المتأخر لصيغة لبنان الكبير.

تأخذني الفطرة إلى أن خربطنا التي رسمت قبل مئة وست، كانت تطبيقاً متأخراً لإرادة عليا تمثلت بعقد سرمدى بين تلج وبحر، وبين جبة قاديشا وجلبابها الذي تعمم واتخذ اسم أبي علي على أول رمال الشاطئ.

من رأى الأرز الذي لا يدري أحد عمره يخال أن الرب زرع في ذراه أشد الحراس قامة وبأساً واخضراراً ليحفظ نسيج السجاد البقاعي، وجعل من صنين خزان ري، وعمم الشيخ جبلاً جليلاً، يؤذن كل صباح ويصلي كي لا يتوه المنبع عن المصب.

لقد علق الرب في رقبة كل مناقوساً يدق كي لا ننسى فضله ولا نجحد نعمته علينا، وسخر لنا الكنائس مدارس والتكايا كتائب، وحرضنا على ركوب الموج ذهاباً وإياباً وقال لنا أكملت عليكم رعايتي، فأنتم ريف ومدينة وقرية وحاضرة وأرز متصل الشميم بعطر البساتين، ومناخ طابت فيه إقامة الطير والحيوان، ووقف خيرى وذرى أدارته الأديرة والمساجد. لكن الفطرة تأخذني أيضاً إلى أنه غير راضٍ عن متولي السياسة الذين يفترون على الصبح ويتفقون على الغلط، ويستعملون مقصاتهم الافتراضية ليعبثوا بالخريطة الربانية سعياً وراء العدم وكسباً لثروات لن يجدوا لإنفاقها يابسة يقفون عليها.

لقد ألبس سوداء القرنة فخامة بياض، وجعل فم الميزاب غادقاً في ناضب الأنهر ليتدفق نبضها في شرايين البساتين، وقبض لنا أن نشد في كل مناسبة: «سهلنا والجبل» فما بالنا نقرن المجد بالموت، وما بالنا نحرض أبناءنا على ازدراء الحياة، فيما إسرائيل تترسخ فينا وتنصب بيننا متاريس في النفوس،

تقول لي السليقة إن رب الأرز بعائنا

لأن طير السنونو هاجرت من حيننا،

وتناثرت أعشاشها عن سقفنا.

أصدقائي سكبت هذه الرؤى في قصيدة أسميتها (في كل أرزة نبي) أضعها بين أيديكم:

فِي كُلِّ أَرْضَةٍ ... نَبِيٌّ*

أَلَسْنَا سَلَامًا

كَمَا الدِّينُ حَرَّضُ

أَلَمْ يَعْقِدِ الرَّبُّ وَتَقَى الْعُرَى

بَيْنَ ثَلَجٍ عَرِيضٍ ... وَأَزْرَقَ أَعْرَاضٍ؟

لَدَيْنَا الدُّرَى ...

«قُرْنَةٌ» رُغْمَ لَوْنِ اسْمِهَا ...

* القصيدة التالية قُلْتُهَا فِي «ناقوس في أحد» بتاريخ ٢٩/٣/٢٠٢٦، وقدمتها بنصٍّ نشريٍّ أعجبَ صديقي البروفسور إميل يعقوب الذي ينقدُ قواميسي أسبوعياً، فألَحَّ عليَّ بأن أثبته في مقدمة القصيدة؛ لأنَّه، بنظره، يساوي جملةً قصائد. ونزولاً عند رغبته أثبته هنا.

جَلَالَةُ أَيْضُ
و«مِزَابُ» ثَغْرِ يُحَدِّثُ نَاصِبَ نَهْرٍ... فَيَنْبِضُ
وَجِبَّةُ وَادٍ تَحْتُ الصَّبَابِ.. أَنْ انْهَضَ
فَفِي كُلِّ أَرْزَةِ رَبٍّ... نَبِيٍّ مُفَوَّضٍ
يُعَاتِبُ سَهْلَ الْبَقَاعِ:
أَأَنْتَ الْحَيَاةُ... أَمْ أَنْتَ لِلْحَرْبِ مَرَبُضُ
أَتَحْبِلُ فِيكَ الْكُرومُ... وَتُجْهَضُ؟
لَأَنْتَ خُشُوعُ الْجِبَالِ إِلَيْكَ

وَسَجَّادٌ تَبِرٌ... وَمَرْجُ الْعُيُونِ الْمَفْضُضِ
فَكَيْفَ رَضِيتَ لِسُنْبُلِ عُمْرِكَ
حُكْمَ الْيَبَاسِ الْمُعَادِ...
مَتَى الْحُكْمُ يُنْقَضُ؟
أَلَا يَسْتَوِي الْمَجْدُ مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ...
أَصَارَ الْحِمَامُ بَضَاعَةَ سُوقٍ وَمَعْرَاضَ
وَهَلْ تُسْتَبَانُ دُرُوبُ الْخُلُودِ...
إِذَا الْعَقْلُ أَغْمَضُ؟

مَقَادِيرُ ثَلَجٍ وَخَمَرٍ وَبَحْرِ... وَحُرِّ الْعُقُولِ
مُعَادِلُ هَذَا الْجَمَالِ الْمُعَرَّضِ
مَتَى الْحُكْمُ يُنْقَضُ؟

لمست الشَّطَّ بالعَيْنِ

على ما كان مِنْ أَمْرِي
وَمَا عَكَّرْتُ مِنْ عُمْرِي

وَمِنْ حَقْبٍ حَقَبْتُ لَهَا
هُمُومًا أَنْقَضْتُ ظَهْرِي

وَحُطُواتِي الَّتِي حَفَيْتُ
أَزَقَّتْهُمَا مِنَ الْمَرِّ

تَبَدَّتْ لِي مَلَائِكَتِي
شَياطِينًا مِنَ الْجَبْرِ



لَكُمْ أَتَرَعْتُ عَاطِفَتِي
بِسُكْرِ لَيْسَ فِي الْخَمْرِ

وَأَسْلَسْتُ الْيَقِينَ إِلَى
مَنَامَاتٍ مِنَ الزَّهْرِ

وَحَلَّتْ بِيَادِي أَزْدَحَمْتُ
بِقَمَحٍ يَفْعُ التَّبْرِ

فَكَانَ دَقِيقُهُ الْمَنْشُورُ
طِخْنِ الْوَهْمِ... بِالْفِكْرِ

تُسَائِلُنِي: مَتَى، كُتِبِي
سَأَقْرَأُهَا... فَلَا أَدْرِي

فُرُوضُ كُلِّ أَيَّامِي
كَأَنِّي الطَّالِبُ الدَّهْرِي

يُحَاصِرُنِي كَيْبُ الدَّزَسِ
فِي «الْأَشْيَاءِ» وَ«الْجَبْرِ»

تُرى الْأَعْوَامُ تَمْنَحُنِي
إِجَازَةَ آخِرِ الْعَصْرِ؟

وَأَمْوَاجُ أَمْنَتْ لَهَا
فَكِدْتُ أَغْوَصُ لِلْقَعْرِ

وَمَا صَادَفْتُ فِي الصَّدَفَاتِ
لَمَعَ اللُّؤْلُؤُ الْحُرِّ

وَلَمَّا عَادَ بِي فُلُكِي
إِلَى الضَّخْضَاحِ مِنْ غَمْرِي

لَمَسْتُ الشَّطَّ بِالْعَيْنَيْنِ
لَمَسَ الذُّعْرَ لِلْبَرِّ

فَمَا أَلْفَيْتُ فِي شَبْكِي
سِوَى حَسَكٍ... عَلَى قِشْرِ
وَصِرْتُ تَتِمَّةً لِكِتَابِ
ذَاكَ «الشَّيْخِ وَالْبَحْرِ»

المحتويات

٥	الإهداء
٧	مقدمة
١٧	الخُبْرُ مُعْتَقِلٌ عَلَى مَرَأَى اللَّعَابِ
٢٢	منذ قابيل
٢٥	الرَّمْلُ يَشْحَذُ النَّسْلَ
٢٨	أَحْرَفٌ مُسَنَّةٌ
٣٥	الشَّيْطَانُ يَعِظُ
٣٧	إخفاق
٣٩	تَعَسًّا لِقَافِيَةٍ

٤٢	حَمَّالٌ رَوَى
٤٨	كَابُوس
٥٢	هَلْ يَحْلُمُ الْحَمَامُ؟
٥٥	أَسْئَلَةُ
٥٧	مِنْ أَوَّلٍ ... لآخر
٥٩	نِصْفُ خِدَاعٍ
٦١	رَأَيْتُ بَعَيْنَيْكَ عَمْرًا جَمِيلًا
٦٣	لَعَاب
٦٥	كَأَنَّ هَوَانًا جَدَلُ
٦٧	أَيْنَ مِنْ عَيْنِيَّ
٧٠	النَّقْشُ عَلَى الْهَوَاءِ

-
- ٧٢ هَامِشْ عَلَى «خَبْزْ وَحَشِيشْ وَقَمَر»
- ٧٥ غَمُوضْ
- ٧٧ شعراء
- ٨٠ ذَهَبُ اللّٰه
- ٨٤ مَزَاجُ الْجَنِينِ
- ٨٨ وَصِيَّة
- ٩٠ دِيكُ الْإِنْسِ الْحَمْصِيِّ
- ٩٢ أَبْنَاءُ الْحَوَاسِ
- ٩٨ حَبْرٌ عَشِيقُ وَرَقْ
- ١٠٣ فِي كُلِّ أَرْزَةٍ ... نَبِيٌّ
- ١٠٧ لَمَسْتُ الشَّطَّ بِالْعَيْنَيْنِ

